

تمهيد إشكالي: واجهت المغرب في العقد الأول من القرن العشرين 1900/1912 مجموعة من الأزمات ساهمت فيها عوامل داخلية وأخرى خارجية في عهد السلطانين المولى عبد العزيز والمولى عبد الحفيظ انتهت بسقوطه تحت الحماية الفرنسية والأسبانية 1912. فما هو السياق العام الذي فرضت فيه الحماية على المغرب؟ وما هي أجهزة ومؤسسات نظام الحماية؟ وما هو رد فعل المغاربة تجاه هذا النظام؟
I. مفهوم نظام الحماية، وظروف فرضه على المغرب .
(1) مفهوم نظام الحماية.

نظام استعماري فرض على المغرب خلال الفترة الممتدة بين 1912 و 1956، بعد أن فرضت عليه فرنسا معاهدة فاس في 30 مارس 1912 التي قسمت التراب المغربي إلى ثلاث مجالات استعمارية: منطقة النفوذ الفرنسي بالوسط و منطقة طنجة الدولية ومنطقة النفوذ الإسباني في الشمال وفي الجنوب بالصحراء المغربية.
(2) الظروف التي فرضت فيها الحماية على المغرب.

العوامل الخارجية التي ساهمت في فرض نظام الحماية على المغرب:
تمثلت في اشتداد التنافس الاستعماري الأوروبي حول المغرب، وقد حسمت فرنسا هذا التنافس عبر اتفاقيات ثنائية انفردت بموجبها بالمغرب، حيث تنازلت في سنة 1902 لـ إيطاليا عن ليبيا مقابل المغرب، ثم تنازلت لبريطانيا عن مصر سنة 1904، كما حصلت على امتيازات متعددة في المغرب بموجب مؤتمر الجزيرة الخضراء سنة 1906، وفي سنة 1911 تنازلت لألمانيا عن الكونغو، وفي 27 نونبر 1912 اتفقت مع إسبانيا حول تحديد مناطق احتلالها.
العوامل الداخلية التي ساهمت في فرض نظام الحماية على المغرب:

- أزمة اقتصادية ومالية داخلية: تمثلت في فشل المخزن المغربي في فرض ضريبة الترتيب سنة 1902، ولجوءه إلى الاقتراض المكثف من الدول الأوروبية وخاصة فرنسا.

- أزمة سياسية خانقة: تجلت في اندلاع تمرد الجبالي بن إدريس الزرهوني -بوحمارة- ما بين 1902-1909، وعزل السلطان المولى عبد العزيز وبيعة المولى عبد الحفيظ سنة 1909، وقد استغلت القوى الاستعمارية هذا الوضع السياسي المضطرب، حيث احتلت فرنسا وجدة والدار البيضاء سنة 1907، ثم احتلت إسبانيا العرائش والقصر الكبير سنة 1911.
(3) بنود عقد الحماية التي فرضت على المغرب بفاس يوم 30 مارس 1912

وقع السلطان مولاي عبد الحفيظ والسفير الفرنسي رينو Regnault عقد الحماية بمدينة فاس يوم 30 مارس 1912، وقد اتفق الطرفان على مايلي:

تأسيس نظام جديد تنجز بوجبه فرنسا الإصلاحات النافعة للمغاربة + حراسة فرنسا للتراب المغربي برا وبحرا + تعهد فرنسا بحماية امن وسلامة ومهام السلطان + اشراك السلطان وولاته في الأقاليم في تنفيذ نظام الحماية + تعيين فرنسا مقيما عاما لها في المغرب وتمتيعه بصلاحيات عامة + رعاية فرنسا لشؤون المغرب وجالياته في الخارج + إشراف فرنسا على طلبات المغرب للقروض + قيام فرنسا بالتفاوض مع إسبانيا + الإبقاء على طنجة كمملكة دولية.

II. التقسيم الترابي للمغرب بعد سنة 1912، وأهم أجهزة نظام الحماية.
(1) التقسيم الترابي للمغرب في عهد الحماية.

قسم المغرب إلى ثلاث مجالات أساسية:
المنطقة الدولية بطنجة.

منطقة الحماية الإسبانية بالشمال-جبالة، غمارة، الريف... وبالجنوب المغربي -الساقية الحمراء ووادي الذهب-
منطقة الحماية الفرنسية بوسط البلاد الذي تم تقسيمه إلى جهات مدنية، وجدة والرباط الدار البيضاء، وجهات عسكرية، فاس مكناس مراكش واكادير.

(2) الأجهزة الإدارية لنظام للحماية ووظائفها.
الأجهزة الإدارية للحماية الفرنسية:

توزعت بين إدارة مركزية وإقليمية ومحلية: فعلى رأس إدارة الحماية المقيم العام الإقامة العامة (اليوطي أول مقيم عام 1912-1925) يمثل الجمهورية الفرنسية بالمغرب يسير المصالح الإدارية والعسكرية يسر القوانين ويصادق عليها. وبذلك كان مطلق الصلاحيات يساعده كاتب عام يشرف على جميع الإدارات. إضافة إلى المديرين ويتولون رئاسة المديريات التقنية الصحة، التعليم، الفلاحة، الصناعة، البريد،... والمديريات السياسية، منها الداخلية تراقب السلط جهويا ومحليا، والأمنية تراقب أفكار المغاربة وتقمع المعارضين، ثم مديرية الشؤون الشريفة تراقب وظائف المخزن وتقدم القرارات للسلطان والصدر الأعظم.

وسيرت الإدارة الإقليمية من طرف مراقبون: مدنيون بالرباط والبيضاء وجدة. وضباط الشؤون الأهلية بالمناطق العسكرية المضطربة كفاس ومكناس ومراكش واكادير. أما الإدارة المغربية مركزيا فعلى رأسها السلطان (يمثل السلطين السياسية والدينية) يساعده الصدر الأعظم ووزارتي العدل والأوقاف أما محليا يمثل الادارة المغربية الباشوات في المدن وبالوادي كان هناك القائد، الشيخ والمقدم، يخضعون للإدارة الفرنسية المدنية والعسكرية..
الأجهزة الإدارية للحماية الإسبانية:

تميزت بازواجية الإدارة مثل الإدارة بالمنطقة الفرنسية. بين الإدارة الاستعمارية والإدارة المخزنية المغربية (شكلية) مركزيا ومحليا. فمركزيا: على رأس إدارة الحماية مندوب سامي يمثل الدولة الإسبانية بالمغرب يسير منطقة الاحتلال

ويستعين بمجموعة من الأجهزة الإدارية في شكل نيابات (الأمر الأهلية-التعليم-الصناعة-الفلاحة-الصحة-المالية.....) أما محليا فعينت اسبانيا على المدن قناصل وعلى البوادي ضباط عسكريين.

الإدارة المغربية: مركزيا: يمثلها خليفة السلطان له صلاحيات شكلية كإصدار الظهائر ويتولى إدارة العدل والأوقاف. محليا يمثلها الباشوات بالمدن والقواد والشيوخ والمقدمون بالبوادي ينوبون عن الخليفة لكنهم كانوا تحت مراقبة ضباط الجيش الاسباني.

الأجهزة الإدارية في منطقة طنجة الدولية:

تمثلت الأجهزة الدولية في السلطة التشريعية المشكلة من مجلس تشريعي -9 أعضاء مغاربة و18 أجنبياء-، ولجنة المراقبة- قناصل الدول الموقعة على مؤتمر الجزيرة الخضراء- وتكلفت باتخاذ القرارات الاقتصادية ومراقبة احترام النظام الدولي + السلطة التنفيذية المكونة من حاكم المدينة ونواب المجلس التشريعي، كان يعين الموظفين الكبار وينفذ قرارات السلطة التشريعية، ويحافظ على الأمن العام + السلطة القضائية وتشكلت من 7 قضاة الدول الموقعة على مؤتمر الجزيرة الخضراء وكانت تفصل في النزاعات الجنائية والتجارية بالمدينة.

بنما تشكلت الأجهزة المخزنية من مندوبية السلطان المكونة من مندوب السلطان والقاضي وموظفو الاحباس، وكانت تحرص على شؤون المغاربة وتلزمهم باحترام النظام الدولي.

III. نماذج المقاومة المسلحة، ودورها في مواجهة نظام الحماية الاستعماري

1) مظاهر المقاومة المسلحة المغربية للاحتلال الفرنسي:

• معركة فاس: انتفض سكان مدينة فاس ضد التواجد الفرنسي مباشرة بعد توقيع عقد الحماية وذلك في 20 ابريل 1912، ثم هبت القبائل المجاورة لتحرير المدينة بقيادة محمد الحجامي وقد صمد المغاربة طيلة شهري ماي ويونيو 1912 ضد الجيش الفرنسي الذي انتصر بسبب تفوقه العسكري.

• معركة سيدي بو عثمان: انطلقت المقاومة الجنوبية من الصحراء المغربية بزعامة احمد الهيبة ابن الشيخ ماء العينين، وأخوه مربيه ربه، وتصدت هذه المقاومة للجيش الفرنسي في شمال مراكش، وبسبب اختلاف موازين القوة انهزم المغاربة في معركة سيدي بو عثمان يوم 06 شتنبر 1912. وبعدها عاد المجاهدون لمواصلة المقاومة بالجنوب المغربي الى غاية وفاة مربيه ربه سنة 1934

• معركة الهري: قاد موحا اوحمو الزياني قبائل زيان بخنيفرة بالأطلس المتوسط، واستطاعوا بفضل شجاعتهم وخطتهم الحربية الانتصار الساحق على الفرنسيين - قتل واسر كبار قادة الجيش- في معركة الهري يوم 13 نونبر 1913 .

• معركة مسكي الرجل: تزعم المجاهد الشريف المحمدي العلوي قبائل تافيلالت بالجنوب الشرقي للمغرب لمقاومة الاحتلال الفرنسي، وقد صمد المقاومون في جبهات المعركة حيث اضطروا إلى ربط أرجلهم ببعضهم بالحبال للثبات في مواقعهم، وأداروا معركة طاحنة ضد الجيش الفرنسي بمنطقة مسكي -قرب الريصاني- سنة 1919 انتهت باستشهادهم.

• معركة القوس: ترأس المجاهد با علي المقاومة المسلحة بالجنوب الغربي لمنطقة تافيلالت، ضد القوات الفرنسية وعملاتها من المغاربة- جيش الكلاوي-، انتهت بانهزام المقاومة في معركة القوس 31 يوليوز إلى 3 غشت 1920.

• معركة بوكافر: قاد المجاهد عسو اوبسلام قبائل ايت عطا بالأطلس الكبير، و رغم استعمال الجيش الفرنسي للطائرات والمدافع والقتال، فان المقاومين صمدوا في معركة القوس من 12 فبراير إلى 24 مارس 1933، ولم يستسلموا إلا بعد أن استنفدوا اسلحتهم، ومقابل شروط قدمها عسو اوبسلام للفرنسيين.

2) مظاهر المقاومة المسلحة المغربية للاحتلال الاسباني.

• تزعم محمد بن عبد الكريم الخطابي المقاومة المسلحة الريفية التي حققت نصرا كبيرا في معركة أنوال يوم 21 يوليوز 1921 ضد الاحتلال الاسباني بالشمال المغربي، وبعد هذه المعركة تحالفت اسبانيا مع فرنسا، وشنتا حربا عسكرية استعملت فيها الغازات الكيماوية، واستسلم محمد بن عبد الكريم الخطابي يوم 27 ماي 1926.

• قاد احمد أخريرو مقاومة قبائل جباله بالشمال الغربي من المغرب ضد الاحتلال الاسباني إلى أن استشهد يوم 3 نونبر 1926.

3) مظاهر صمود المقاومة المسلحة واستماتتها في مواجهة الاحتلالين الفرنسي-الاسباني

تطلب احتلال المغرب عسكريا من طرف سلطات الحماية 22 سنة من العمل العسكري (1912 إلى 1934) وذلك بفضل قوة المقاومة المسلحة المغربية و حسن تنظيمها رغم استعمالها لوسائل وأسلحة تقليدية بسيطة وأسلحة الغنائم العسكرية من المعارك كما هو الشأن في معركة الهري وأنوال مقارنة مع التفوق العسكري للمحتل المكون من جيش نظامي مجهز بأسلحة متطورة نارية ودبابات وطائرات . إضافة إلى ارتفاع الروح القتالية للقبائل والتفافها حول زعماء المقاومة . وهو ما حاولت فرنسا ضربه بخلق التفرقة -سياسة فرق تسد -بين مكونات المجتمع المغربي من امازيغ وعرب بإصدارها للظهير البربري سنة 1930، إلا أن المغاربة أفضلوه وزاد من شعورهم الوطني المغربي .

وبنهاية المقاومة المسلحة سنة 1934 دخلت المقاومة المغربية مرحلة المقاومة السياسية إلى جانب العمل المسلح بقيادة الأحزاب السياسية انظر الوحدة 4 من المجزوءة الثانية.

IV. المفاهيم والأعلام.

- عقد الحماية : عقد فرضت بمقتضاء الحماية على المغرب من 1912 إلى 1956، وقعه عن الجانب المغربي السلطان مولاي عبد الحفيظ ، وعن الجانب الفرنسي السفير رينو بفاس يوم 11 ربيع الثاني موافق 30 مارس 1912 ويتكون من ديباجة وتسعة فصول.
- الترتيب: ضريبة نقدية حلت محل الزكاة والأعشار ، شرع السلطان مولاي عبد العزيز في تطبيقها، وأدى فشل تعميمها إلى فراغ الخزينة ، فاضطر إلى الافتراض من الخارج.
- غيوم (تكتب أكثر بكم): فرقة عسكرية شكلها الفرنسيون من المغاربة إلى جانب فرقة المخزنية في إطار سياسة توظيف الأهالي في المعارك.
- محمد الحجامي: قاد القبائل المجاورة لفاس لتحريرها من القوات الفرنسية خلال شهري ماي ويونيو 1912.
- أحمد الهيبه : ابن الشيخ ماء العينين ، بوع اميرا للجهاد بتزنيث، وقاد المقاومة إلى أن توفي سنة 1919
- مربيه ربه : أخ أحمد الهيبه ، تولى قيادة المقاومة من 1919 إلى سنة وفاته 1934.
- موحا أحمو الزباني: قائد قبائل بالأطلس المتوسط ، استمر في مقاومة الاحتلال الفرنسي إلى أن أستشهد سنة 1921.
- محمد بن عبد الكريم الخطابي: ولد بأجدير سنة 1883، وتزعّم المقاومة ضد الاسبان ، والفرنسيين سنة 1926، ونفي إلى جزيرة لارينيون، وبعد ذلك لجأ إلى مصر ، وتوفي فيها سنة 1926.
- عسو أوبسلام: قائد قبيلة أيت عطا، تولى قيادة المقاومة ضد الكلاويين ثم الفرنسيين ، استسلم مقابل شروط بعد معركة بوكافر 1933 ، توفي سنة 1963
- المحمدي العلوي: من بين قادة المقاومة المسلحة بتافالنت ، ولد بقصر أبو عام بالريصاني.
- التهامي الكلاوي: باشا مراكش ويعتبر أحد القواد الكبار الذين إعتد عليهم الاستعمار في إحتلاله للجنوب .
- باعلي: قائد القوات العسكرية للمقاومة التي تزعمها بتا فيلالنت بلقاسم النكادي.
- سان خورخو: المندوب السامي الاسباني بالمنطقة الخلفية [1925-1928] وبعد ذلك مابين أبريل ويونيو 1931.
- أخريرو: احمد أخريرو أحد قادة المقاومة بجباله استشهد يوم 3 نونبر 1926 ودفن بجبل العلم